الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين:

مقرر مادة الفكر الإسلامي

I. **دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي**

II. **التعريف بأهم المسهمين في ترويج المضمون الشائع عن الفكر الإسلامي**

1-الدكتور إبراهيم مدكور

2-الدكتور محمود قاسم

3-الدكتور طيب تيزيني

4-الشيخ مصطفى عبد الرازق

5- الدكتور علي سامي النشار

III. **تحليل مركز لمضامين الفكر الإسلامي**

1. فيما يتصل بمصادر الفكر الإسلامي
2. فيما يتصل بعلم الكلام
3. فيما يتصل بالتصوف
4. فيما يتصل بالفلسفة الإسلامية

IV. **المفهوم الحقيقي للفكر الإسلامي وتجلياته**

1-تجلياته في المجال التربوي

2-تجلياته في المجال السياسي

V. **خصائص الفكر الإسلامي وضوابطه**

1-خصائص الفكر الإسلامي

2-الضوابط المنهجية للفكر الإسلامي.

I. دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي

مدخل

ساد خلال العقود الأخيرة مفهوم الفكر الإسلامي سواء على المستوى التربوي في برمجته العلمية كمادة تدرس في مختلف الشعب والمسالك، أو على مستوى النشر والتأليف لمجموعة من الدراسات الفكرية التي لقيت رواجا كبيرا بين القراء.

ومجموع هذه الكتابات في جوانبها المختلفة تسعى لترويج مضمون محدد عن الفكر الإسلامي يستجيب لمنطلقات فكرية وسياسية وإيديولوجية أكثر مما يعبر عن حقيقة الفكر الإسلامي وعن أهم القضايا المركزية في التاريخ الإسلامي، وكذا عن أهم الإشكالات التاريخية التي عاشها الفكر الإسلامي أو تلك التي يفترض أن يجيب عنها حاليا.

إن إصرار كثير من الباحثين على وجوب تضمين الفكر الإسلامي للفلسفة الإسلامية بإشكالاتها المتنوعة ذات البعد العقلاني والأنطولوجي، وعلى التصوف بقضاياه وأعلامه وأنواعه وعلى علم الكلام بمدارسه وطوائفه وفرقه وحجاجه وجدله لا معنى له كما أنه لا جدوى ولا فائدة تترتب عن إعادة إنتاجه بمختلف شروطه وقضاياه اللهم إلا إذا أردنا أن نسقط القضايا الفكرية التاريخية على الواقع، وأن نعيد إنتاج ذلك الواقع بجدله وسفسطته وتصوفه ودواعيه، ومعلوم أن ذلك الإسقاط يترك سلبيات لا على المستوى التاريخي فقط بل إنه يتعداه إلى الجانب الموضوعي المرتبط بالشروط الفكرية والعملية التي يعرفها العالم الإسلامي في الوقت المعاصر.

لأجل هذه الاعتبارات يهمنا عرض ودراسة الدواعي الموضوعية لتجديد الفكر الإسلامي، مع تقديم الباحثين والمفكرين الذين كان لهم دور تأسيسي في

نشر مضمون الفكر الإسلامي، والعمل على توصيف مضمون هذا الفكر ونقده علميا لننتقل بعد ذلك إلى الجانب البنائي وضمنه سنقترح إن شاء الله تعريفا للفكر الإسلامي ثم نبين تجلياته المتنوعة في الجوانب العلمية والفقهية والأدبية والتربوية والسياسية.

ولذلك نؤكد على أن المنطلق العلمي لمعالجة هذا الموضوع هو التساؤل عن دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي و التي تكمن في المقتضيات الآتية:

1- إن المنطلق الرئيس لتجديد النظر في الفكر الإسلامي يستند إلى كون التحليل العلمي لمضمونه يقوم على التفحص و النقد والتحليل والمدارسة.

ولعل السعي لإشاعة مضمون معين عن الفكر الإسلامي يستند إلى أن المكون الرئيس لهذا الفكر يكمن في علم الكلام والتصوف فضلا عن الفلسفة الإسلامية مما دفع أغلب النخب المثقفة إلى التسليم به ومدارسته، كما أن تقريره في كثير من المناهج التربوية لمختلف مراحل التعليم أسهم في نشر هذا المضمون الذي لا يعبر حقيقة عن صواب محتواه ومنهج عرضه وأحقيته العلمية، مما يتطلب القراءة العقلانية الواعية لهذا المضمون وتفحصه وتحليله، والتمييز بين جوانبه الإيجابية والسلبية، ونقد مفرداته ومحتوياته العلمية قصد إثبات ما من حقه أن يثبت وطرح ما يجب أن يطرح.

2- كما أن من دواعي تجديد الفكر الإسلامي مراجعة مفهومه الذي تقرر لدرجة غدا الإيمان بمضمونه مسلما به.

وقد مرت عقود من الزمن على إقرار ذلك المضمون عن الفكر الإسلامي تعلما وتعليما، مدارسة وتحليلا ونشرا وتوزيعا مما يفترض على الأقل من زاوية التقويم البيداغوجي وجوب المراجعة العلمية لمقرراته ومضامينه العلمية المقررة والتي غدا الإيمان بها مسلما به لدى كثير من الطلبة والنخب المثقفة

لأجل ذلك لا بد من تجديد النظر في ذلك المضمون، وإخضاعه للمقاييس العلمية مدارسة ونقدا وتحليلا.

3- كما أن من أسباب تجديد النظر في الفكر الإسلامي كون مضمونه مستنسخا من الدراسات الاستشراقية المتحيزة.

ومعلوم اتصاف جل المستشرقين بالتحيز وعدم الموضوعية، وتركيزهم على التاريخ الفكري للأمة الإسلامية، وكتابتهم عنه بمنطق المعارضة والتأويل مما جعلهم من الناحية الموضوعية يركزون على اختيار مجموعة من القضايا التي احتلت بؤرة اهتمامهم وأهمها:

- تشويه الفترات الذهبية في التاريخ الإسلامي وخاصة في عهدي الرسالة والراشدين.
- تضخيم أثر الفترات الملتهبة في التاريخ الإسلامي للأمة.
- التركيز على دلالات التشرذم الفكري في قراءة المستشرقين لتاريخ الفرق الكلامية.
- الاهتمام بموضوع الزندقة والزنادقة.
- الإشادة البالغة بالجهود الفكرية لاتجاهات التصوف وعلم الكلام ومن نماذج ذلك أن نجد مستشرقين قد تخصصوا في أحد رجالات علم الكلام أو التصوف فلويس ماسينيون تخصص في الحلاج، وهنري كوربان تخصص في السهروردي[1]

وهم إلى جانب ذلك نجدهم قد اعتمدوا على وسائل تحقق أهدافهم ومنها: تصيدهم للروايات الضعيفة والمكذوبة وعدم استقصائهم للمصادر العلمية إضافة إلى إشاعتهم لملامح الفوضى والانقسام والعنف كخاصيات إسلامية تنطبق على

[1]) للفصيل: كتاب د عبد العظيم الديب: "المنهج في كتابات الغربيين عن التاريخ الإسلامي"

التاريخ الإسلامي مقابل وسمهم للتاريخ الغربي بمميزات التنوع والحوار والتسامح.

وإن حديث المستشرقين عن التصوف وعلم الكلام يحيل إلى أن هذه التوجهات كانت تسيطر على الساحة الفكرية في عصرها. والحقيقة غير ذلك تماما، إذ مثلت هذه الفرق توجهات استثنائية شاذة في الواقع التاريخي للمسلمين، كما أن أتباعها كانوا يمثلون قلة قليلة لا وزن لها ولا أثر لها في واقعها.

والحقيقة التي نستنتجها بعد المقارنة بين رؤية من سعى ويسعى لنشر المضمون المروج عن الفكر الإسلامي والأطروحات الاستشراقية أن التطابق بين التوجهين بين لا على مستوى مضامين الفكر الإسلامي في الفلسفة الإسلامية والفرق الكلامية والتصوف، بل حتى على مستوى قواعد المنهج الاستشراقي والنتائج التي توصل إليها المستشرقون. وكل ذلك يعكس التطابق والتماثل واستفادة اللاحق من السابق ونقل تجربته والترويج لآرائه.

4- كما أن من دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي التي لا تغيب على ذي بال أن من سعي لترسيخ ذلك المضمون كان يتوخى الوصول إلى تحقيق أهداف إيديولوجية مبيتة.

ولعل هذا الأمر واضح جلي في متابعة مقاصد الفكر الاستشراقي ومن يحلو له اتباعه والتأكيد على سلامة اختياراته الفكرية، خاصة وأنه يسعى بكل الأشكال إلى تشويه المضمون السابق عن الفكر الإسلامي دون أن يشير ولو بصفة جزئية إلى التجليات الحقيقية للفكر الإسلامي ومضامينه الأصلية في مختلف مجالات الحياة. مع ما يتطلب ذلك من اهتمام بالكتابات العلمية المتنوعة فيها: فأين النظرية التربوية في التراث الإسلامي؟ واين تجليات اهتمام

المستشرقين وغيرهم من المغربين بالآراء التربوية لابن سحنون وابن الماجشون وابن سينا والغزالي وإخوان الصفا والزرنوجي...

وأين النظرية السياسية في الفكر الإسلامي؟ وأين الاهتمام بالكتابات العلمية لأبي يعلى الفراء والماوردي وابن تيمية وابن القيم والمالقي الغرناطي والقزويني...

إن هذا الانتقاء لمضامين الفكر الإسلامي يتغيى أصحابه بالأساس تحقيق أهداف إيديولوجية مبيتة تقتضي منهم أن يكون انتقاء المضمون خادما للمقاصد الشخصية والأهداف الذاتية للمستشرقين ومن شايع أطروحاتهم من المفكرين العرب.

5- ومن أسباب تجديد الفكر الإسلامي ما يشوب محتواه من تضليل ودس وتزييف:

ولا شك أن القراءة الذاتية لمضمون الفكر الإسلامي وما تعكسه من وجود جرعة كبيرة في تأويل النصوص والأحداث وتوجيهها حتى تنسجم مع الأهداف الذاتية يعد قمة في التضليل. كما أن انتقاء الأحداث التي يجب التركيز عليها، والعمل على تصيد شواهد تاريخية تخدم منطلقاتها: كل ذلك يعكس الدس والتزوير: ومثاله حديث هؤلاء عن الخلاف بين الصحابة وأخبار ما سمي بالفتنة الكبرى، وتصيد روايات هالكة الإسناد أو ضعيفة أو مكذوبة: كل ذلك يعكس التزييف المتعمد وخاصة في تجاهل القيمة العلمية للأخبار والمرويات وعدم اعتبار قيمتها التاريخية ومصداقيتها العلمية.

6- ومن دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي ما يشوب برمجة مضمونه في أسلاك التعليم من اثر سيء على المتعلمين:

ومن المعلوم أن بناء المناهج التعليمية وخاصة في الجامعة يفترض فيه:

- تعميق الانتماء للأمة الإسلامية في عقيدتها وشريعتها وتاريخها.
- إكساب الطالب القدرة على التعلم الذاتي، وتقوية عقلية التركيب والتحليل والنقد لديه.
- تحبيب المادة العلمية للطالب باختيار مفردات تزاوج بين تعميق التخصص والتحفيز على التكوين مع توخي أن يكون البرنامج المقرر لا يبعث على الملل والسأم، إضافة إلى تحقيقه للتناسب العام بين مختلف مواد التخصص.

وإذا طبقنا هذه المعايير على المضمون المنتقد للفكر الإسلامي ومقرره ، نجد أنه لا يتناسب تماما مع أي من المعايير التربوية والبيداغوجية بل إن ميسمه الرئيس يغلب عليه جرعة التأويل والتحوير وقلب الحقائق والتهويل والتضخيم لبعض التوجهات والفرق والأعلام وكأنها كانت مهيمنة على الوضع الفكري والثقافي العام للأمة الإسلامية. إضافة إلى ذلك فإن مقرر مضمون الفكر الإسلامي وما هو شائع فيه وخاصة من الناحية العقدية من حيث سيادة الجدل الكلامي الفارغ ومقتضيات السفسطة البغيضة، وتكفير المتكلمين بعضهم للبعض الآخر: كل ذلك وسواه يترك آثارا سلبية كثيرة على المتعلمين، ويسم التاريخ الفكري للأمة بكل المعاني السلبية والتي منها: إشاعة ملامح العنف والانقسام والتجزئة في تاريخ الفكر الإسلامي، وما لها من أثر على نفور الطلبة وعدم تواصلهم مع حقيقة تاريخهم الفكري.

7- كما أن من دواعي تجديد الفكر الإسلامي أن دلالات المضمون المروج عنه تخرج عن النسق المنهجي للمعرفة الإسلامية.

ولا شك أن المعرفة الإسلامية متكاملة ومتصلة ضمن نسق منهج منظم يعكس التناسب والتكامل بين مكوناتها العلمية وليس التناقض والتضاد كما هو موجود في بنيات حضارية مختلفة.

لذلك كانت أهم صفة تميز المعرفة الإسلامية هي التركيز على وحدة العقل وتضافر جميع ملكاته من أجل تحصيل المعارف وتطويرها والاستفادة منها وتحقيق مقتضى التكامل بينها مع الربط بين أصولها وفروعها.

ولذلك وجب مراعاة الشروط الواجب توفرها في العلوم من أجل تحقيق التناسب بينها وبين النسق المنهجي للمعرفة الإسلامية. وأهم هاته الشروط:

- بناء قواعد المعارف والعلوم على أسس الشرع ومقاصده
- توخي تحقيقها لانتفاع الناس بها، والحذر من عدم الإفساد بها.
- ارتباط مختلف العلوم بالعمل

وإن استقراء تاريخ المعرفة الإسلامية يثبت أن تطور العلوم تم بناء على الشروط والضوابط السابقة. ولذلك لم تكن للعلماء هذه الثنائية التي نلحظها اليوم في شتى المناحي العلمية، حيث إن كثيرا من المتخصصين يفرقون بين اهتماماتهم العلمية ومصدرية رؤيتهم الشرعية. بينما كان الأسلاف يزاوجون في تناغم محكم بين تخصصهم العلمي ونزوعهم الشرعي. ومن ذلك: أن لا جدوى من فكر فيزيائي لا تسنده ضوابط شرعية وآداب فقهية تحدد وظيفته وغايته وأهدافه، لذلك وجدنا في التاريخ الإسلامي أطباء فقهاء وعلماء مبرزين في فنون متعددة.

ولما انفصمت العلوم عن وحدتها وخرجت عن النسق المنظم للمعرفة الإسلامية آلت إلى التبعية وإسقاط المناهج والتصورات الغربية على العلوم الإسلامية مما نتج عنه وجود أطباء ومؤرخين وفلاسفة يؤلهون مصادر تخصصهم، ولا يرون في الدين المعيار الموجه، والمنطلق المرشد. مما يعكس الضحالة في الرؤيا، والضعف في التدين، والغربة في الانتماء.

وهذا عين ما هو حاصل في المضمون المروج عن الفكر الإسلامي فمفرداته ومحتوياته جلها تتناقض مع نسق المعرفة الإسلامية وتستوحي نظرات مخالفة لتصور هذه المعرفة الإسلامية وفلسفتها.

8- ومن دواعي تجديد النظر في الفكر الإسلامي وضع المحتوى المنتقد في محله دون تزيد أو استنقاص.

إن المنطق القرآني يدعونا إلى وجوب اعتماد العدل والإنصاف في التعامل مع الأفكار والأشخاص والقضايا والظواهر يقول تعالى:(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)[1].

ولا شك أن مضمون الفكر الإسلامي يحتوي في بعض جوانبه على بعض الإيجابيات التي يجب اصطفاؤها وحسن استثمارها لما من شأنه أن ينعكس إيجابا على دراسة الفكر الإسلامي، كما يضم هذا الفكر مجموعة من السلبيات التي يجب التنبيه إليها دون تزيد ولا تضخيم والعاقل هو من يتعامل مع مختلف الأفكار بنفس المقاييس الموحدة.

9- وإن من أهم دواعي تجديد النظر في مضمون الفكر الإسلامي: السعي لتقديم مفهوم سليم وأصيل عنه:

إذ لا يغيب عن بال أحد أن انتقاد أي فكر بأي مضمون ليس هدفه النقد والهدم والكشف عن المغالط وأوجه الخلل ومناحي القصور فقط بل إن الهدف الرئيس يكمن في اقتراح بناء فكري بديل يعمق التصور ويبين المضمون المطلوب بكل وضوح.

لذلك فإن السعي لانتقاد المضمون المروج عن الفكر الإسلامي سواء على مستوى بيان حده أو تجلية مضامينه مع نخلها وانتقاء الصائب منها، لا يقف عند هذا الحد بل يعقبه العمل على تأصيل المفهوم الحقيقي للفكر الإسلامي والذي

[1] سورة المائدة الآية 9

يتناسب موضوعيا وعقديا ومنهجيا مع حقيقة الفكر الإسلامي في أصالته وعمقه ومحتواه ومقتضيات تقعيده.

ولابد أن يستتبع هذا التأصيل لمفهوم الفكر الإسلامي بيان تجلياته الحقيقية في تاريخ الفكر الإسلامي وخاصة من الزوايا العلمية والتربوية والسياسية والفقهية والأدبية.

10- كما أن من أهم أسباب تجديد النظر في الفكر الإسلامي: السعي لتصحيح التصورات المغلوطة عنه.

إن النقد المنهجي للمضمون المروج عن الفكر الإسلامي يقتضي في المقام الأول تصحيح التصورات المغلوطة المرتبطة بهذا الفكر. ومن ذلك تقويم الموقف العقدي الشرعي من التكفير المتبادل بين مختلف الطوائف والفرق الإسلامية. وبيان أن هذا المسار غريب عن الأمة الإسلامية، والتي يمكن أن تختلف ما وسعها في ذلك الجهد والكفاءة والوسع والاجتهاد مع إبراز دليل اختياراتها ومستنده. لكنها أبدا لا يمكن أن تقبل الاختلاف في عقيدتها ذلك الاختلاف الذي يكون من آثاره: التكفير أو فرض أسلوب واحد أو منهج واحد في فهم العقيدة كما كان الأمر مثلا مع المأمون والمعتصم واللذين فرضا على الأمة منطق التفكير الاعتزالي.

ونفس الأمر يمكن قوله في تصحيح التصورات المغلوطة بالممارسات التصوفية وخاصة في اتجاه بعض رموزه إلى القول بالاتحاد والحلول، وما يرتبط به من أحوال ومقامات مثل: الكشف والمشاهدة والمقام والحال، وسواها من المفاهيم والمصطلحات التي تتخذ مضامين مخالفة للشرع مناقضة لخصوصيات الفكر الإسلامي ومختلف ضوابطه العقدية والفقهية.

11- كما أن من دواعي تجديد الفكر الإسلامي: بيان التناغم والتكامل بين مختلف المكونات المعرفية في تاريخ الفكر الإسلامي.

إن دراسة نشأة مختلف العلوم الإسلامية وتاريخ تدوينها، وتحليل أوجه العلاقة بينها، يحيل إلى صفة التكامل بين هذه العلوم جميعا مهما كانت وظائفها أو تخصصاتها. ذلك أن الوقوف على الفروق الرئيسة بين هاته العلوم لا يعدو تجاوز الجانبين الإجرائي والتخصصي لوظائف العلوم. ومما يؤكد ذلك أن أغلب العلماء لم يعتمدوا أساسا التفريق المنتشر اليوم بين المسلمين والذي مضمنه تقسيم العلوم إلى شرعية وغير شرعية، دينية وغير دينية.

ولعل مرد هذا التقسيم أثر الدراسات الاستشراقية يؤكد ذلك عدم تجذر استعماله في الرؤية العلمية لتاريخ الفكر الإسلامي.

ولذلك فإننا حين ندعو إلى تجديد النظر في مفهوم الفكر الإسلامي فلأجل اقتراح مفردات ومضامين تقوي أواصر التناغم والتكامل بينها، وبين مختلف جوانب المعرفة الإسلامية وتقصيد مناحي الانسجام بين أنواعها ليلا يصير الأمر إلى ضروب التناقض والاختلاف المذموم.

12- وأخيرا فإن من أهم دواعي النظر في تجديد الفكر الإسلامي: الإسهام في بناء النسق المنهجي المنظم للمعرفة الإسلامية.

من أهم المقتضيات المنهجية في تاريخ الإسلام أن النسق المنظم للمعرفة الإسلامية ظل دائما يصهر العلوم في بوثقة واحدة، ونسيج إسلامي ضابط هو النسيج الشرعي الذي بموجبه تخضع مختلف التصورات النظرية والعملية معرفيا لمقياس الشرع ومقاصده الكلية فتلبس لبوسه، وتسير وفق أسسه وقواعده. ولذلك لم يكن أغلب المسلمين يفرقون بين العلوم الشرعية وغير الشرعية. فالكل كان شرعيا. ومن هذا المنطلق نقول بأنه لا تفاضل بين العلوم

لأن الأصل فيها جميعا تحقيق المنفعة في أمر المعاد والمعاش. وتحقيق الفائدة المرجوة من هذه العلوم.

ولذلك فإن الأجدر بنا التساؤل عن مدى تحقيقنا للإفادة من هذا العلم؟ وهل هو نافع؟ أم هو من قبيل العبث وإضاعة الجهد والوقت والمال؟ وهل يترتب عن هذا العلم عمل؟

وهذه الأسئلة تمثل معايير لتقدم العلوم والتحفيز على التخصص فيها.

وكم من طلبة العلم من يشغلون حياتهم وأوقاتهم في التفاهات والعبث. لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من علم لا ينفع. فما بالنا بالاشتغال بعلم قد يضر وقد يترك آثارا سلبية.

والأصل أن استعمال العلم في غير الوجه السليم له مذموم بنص القرآن الكريم كما قال عز من قائل:**{ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام. وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد، وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبيس المهاد}**[1].

لأجل ذلك فإن تجديد النظر في مفهوم الفكر الإسلامي وتأصيله بناء على تحديد مفهومه الأصيل والسليم، وتجلية جوانبه العلمية في مختلف المجالات يشكل لبنة رئيسة في إسهام الفكر الإسلامي في بناء النسق المنهجي المنظم للمعرفة الإسلامية.

[1] سورة البقرة الآيات 202-204

II. التعريف بأهم المسهمين في ترويج المضمون المنتقد عن الفكر الإسلامي

إن استقراء مجمل الكتابات الاستشراقية يثبت السبق النظري للمستشرقين في دراسة الحياة الفكرية للمسلمين كما يعكس مميزات هذه الدراسة سواء على المستوى العلمي أو المنهجي. ومن أهم تجليات تعاملهم مع التراث الفكري للمسلمين:

- تركيزهم على دلالات التشرذم الفكري من خلال قراءتهم للفلسفة الإسلامية وتاريخ الفرق الكلامية والتصوف.
- تخصصهم في بعض رموز علم الكلام والتصوف، وإشادتهم البالغة بهؤلاء. إضافة إلى ذلك يجب التأكيد على الدور الطلائعي الكبير الذي اضطلع به مجموعة من المستشرقين بعد تأسيس أول جامعة عربية بالقاهرة سنة 1908.

وقد أتيح لكثير منهم أن يكونوا أعضاء بهيأة التدريس بهذه الجامعة. كما صار بعضهم أعضاء عاملين بالمجامع اللغوية بالقاهرة ثم دمشق فبغداد.

وإن عضويتهم بالمجامع اللغوية وتدريسهم بالجامعات سمح لهم بتحقيق أمرين اثنين:

- **الأول**: إسهامهم في تكوين الجيل الأول من المغربين والتأثير عليهم فكريا وعمليا.
- **الثاني**: نفث سمومهم ونشر أفكارهم المعادية للتراث الإسلامي وخاصة بين النخب العربية المثقفة. أمثال: شبلي شميل، طه حسين، لويس عوض، قاسم أمين، أنيس فريحة، عبد العزيز فهمي، سلامة موسى، وغيرهم كثير.

وجل هؤلاء المتغربين اضطلعوا بعد ذلك بتحمل مسؤوليات جسيمة في مجالات علمية عديدة أبرزها: التدريس الجامعي والصحافة والتأليف.

وقد اختص البعض من هؤلاء الخريجين بالبحث في مجال الفكر الإسلامي أوفى أحد فروعه والتي منها: التصوف وعلم الكلام والفلسفة الإسلامية.

ومن أبرز هؤلاء: الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور محمود قاسم.

1- الدكتور إبراهيم مدكور

وهو أحد الخريجين الأوائل لدار العلوم، اتجه إلى البحث الفلسفي، وأكمل دراساته العليا بفرنسا. أهم كتابين له بالفرنسية بعد كتابه المعروف: "في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق"

- مكانة المنطق الأرسطي في العالم العربي/ L'organon d'Aristote dans le monde arabe
- مكانة الفارابي في الفلسفة الإسلامية/ La place d'Alfarabi dans la philosophie musulmane

وعماد منهج د. إبراهيم مدكور يقوم على:

- إثبات أصالة المدرسة المشائية الإسلامية، وأنها لون جديد من ألوان الفلسفة التي تتميز بالجدة.
- سعى د. إبراهيم مدكور لوضع أساس منهج البحث الفلسفي الإسلامي عند الفارابي ومن جاء بعده.
- أظهر بتحمل كبير أصالة الفلسفة الإسلامية.
- نظرا لسبقه الزمني اعتبرت كتاباته مكونا رئيسيا لمضمون الفكر الإسلامي لمن جاء بعده.

2- الدكتور محمود قاسم

وهو خريج جامعة السوربون بباريس. ويعد من أوائل الباحثين العرب الذين تخصصوا في فلسفة ابن رشد وأطروحته الجامعية هي "فلسفة ابن رشد"

- وقد حقق كتابه الموسوم ب"مناهج الأدلة في عقائد الملة" وقد قدم له بمقدمة طويلة أبرز فيها: المنحى العقلي لابن رشد، وانتقد بشدة الأشعرية.
- د محمود يؤمن بأصالة المذاهب العقلية، وأنها هي وحدها المعبرة عن روح الإسلام. ولذلك فإنه دافع بشدة عن أصالة فلسفة ابن رشد العقلية، وأنها هي الأقرب للقرآن من فلسفة الأشاعرة.
- له كتاب مشهور تحت عنوان: "نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها لدى توماس الأكويني" وقد نشره بالعربية سنة 1964 وفيه أثبت أن توماس تلميذ مؤول لنظرية المعرفة عند ابن رشد.

3- الدكتور طيب تيزيني

وهو مفكر فيلسوف سوري معاصر. أشهر كتبه هو:" مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط".

دعامة مؤلفه تنحو إلى: إبراز وتأصيل المنحى المادي في الفكر الإسلامي.

- أشاد بالمعتزلة والفلاسفة باعتبار غلبة فكرهم المادي.
- هاجم بشدة ما سماه بالفلسفة المثالية النصية ممثلة بأبي الحسن الأشعري والغزالي والذين يمثلان في ظنه: الوعاء النظري الكبير الذي احتوى مطامح الاتجاه الاجتماعي الإقطاعي القائمة على تأطير الواقع والفكر ضمن أغلفة الاستسلامية والنصية واللاسببية.
- يرى أن الصوفية تمثل شكلا خجولا من أشكال الفكر المادي.

وعلى نفس منهج "طيب تيزيني" سار حسين مروة في كتابه: "النزعات المادية في الإسلام".

وهو نفس المسار الذي سلكه مختلف المفكرين ذوي النزعات الماركسية واليسارية والعلمانية والقومية ومنهم على الخصوص: فؤاد زكريا إبراهيم زكريا، محمود اسماعيل، محمد عابد الجابري، وغيرهم كثير.

وجميع هؤلاء تواضعوا على تضمين الفكر الإسلامي البحث في مجالات الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام والتصوف.

- وفي الاتجاه النقيض لهؤلاء ظهر مفكرون آخرون يرون أن أصالة الفلسفة الإسلامية لا تتجلى لدى رموزها المشائية كابن سينا والفارابي وابن رشد، بل تتجلى في إسهامات العلماء المسلمين وخاصة لدى المتكلمة وعلماء أصول الفقه. وأبرز هؤلاء على الإطلاق الشيخ مصطفى عبد الرازق وتلميذه الدكتور علي سامي النشار.

4- الشيخ مصطفى عبد الرازق

أشهر كتبه "تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية" والكتاب في أصله محاضرات متنوعة طابعها المنهجي يروم إبراز طريقة جديدة في دراسة الفلسفة الإسلامية.

- تقوم على تجلية أصالة وعبقرية الفلسفة الإسلامية ليس في كتب المشائين، وإنما في كتب المتكلمين وعلماء أصول الفقه.
- يعتبر الشيخ مصطفى عبد الرازق من أوائل من جدد النظر الإسلامي الفلسفي الخالص في المنطق الأصولي.

5- الدكتور علي سامي النشار

- اشتهر بكتابه الضخم" نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" والذي ينتظم في ثلاثة أجزاء. خصص الأول منها للمسار التاريخي العقلي قبل الإسلام وفي

مراحله الأولى لدى المعتزلة. والثاني للتشيع، بينما خصص الجزء الثالث للتصوف.

- لكن يبقى أن أهم كتبه هو "مناهج البحث عند مفكري الإسلام" وضمنه: استقرأ مهاجمة علماء الإسلام للمنطق اليوناني ورفضهم له.
- بين أن المنطق الأرسطي لم يقبل في المدارس الإسلامية، بل هوجم وطرح.
- كما علل سبق الحضارة الإسلامية في وضع أسس المنهج التجريبي الذي يفسر روح الحضارة الإسلامية ووجه تميزها.

III. تحليل مركز لمضامين الفكر الإسلامي

1- فيما يتصل بمصادر الفكر الإسلامي

دأبت مختلف الأدبيات الفكرية لتاريخ الفكر الإسلامي أن تجعل مصادر هذا الفكر تتجلى في القرآن والسنة ثم الفلسفة اليونانية.

والحقيقة أن القرآن والسنة لا يمثلان إلا أصول النظر في قضايا الفكر الإسلامي، والمصادر التي يتم تأصيلها من خلاله. بينما الغالب على نصوص القرآن والسنة أنها صارت مجالا للتأويل والتفسير من أجل تنزيل هذه النصوص على المجالات الكلامية والفلسفية.

- إن الموازنة بين حضور النص القرآني في مصدرية الفكر الإسلامي وبين الفلسفة اليونانية يثبت بكل وضوح هيمنة هذه الفلسفة على أغلب مضامين الفكر الإسلامي، وخاصة في دراستنا لقضايا الفلسفة الإسلامية.
- كما تثبت هذه الموازنة هيمنة الفلسفة اليونانية على مستوى منهج النظر وطريقة التحليل ومناقشة القضايا.
- علاوة على أن هذه الموازنة تثبت هيمنة الفلسفة اليونانية على مستوى منهج الاستدلال في مجال الموضوعات والقضايا المعالجة أو فيما يتصل بأسلوب التعامل ومنهج التحليل.

وهذه لعمري شيء عجيب. إذ من الناحية المنهجية لنا أن نتساءل: كيف نقبل نسبة فكر إلى تصور معين، ونجعل له في نفس الآن مصدرا خارجيا يستقى منه؟

وهل يمكن لأي يهودي أو نصراني أن يقبل أن يكون من مصادر الفكر اليهودي أو المسيحي الفلسفة اليونانية؟

والحقيقة التي لا يرقى إليها شك أو جدل أنه لا يمكن القول من الزاويتين الموضوعية والمنهجية أن الفلسفة اليونانية تعد مصدرا من مصادر الفكر الإسلامي وذلك نظرا للاختلاف المبدئي لهذه الفلسفة مع منظومة الفكر الإسلامي سواء على مستوى أصول النظر، أو مقتضيات الاستمداد العقدي، أو فيما يتصل بطريقة العرض وأسلوب الاستدلال.

2- فيما يتصل بعلم الكلام

لا يغيب عن بال أحد أن الاختيارات السياسية للفرق الكلامية كانت لها الأسبقية قياسا على مساراتها وآراءها الفكرية بدءا بالخوارج ثم المرجئة ثم المعتزلة والشيعة فالأشاعرة.

ومعنى هذا أن المسار السياسي كثيرا ما كان له الأثر الأكبر في توجيه المسار الفكري للتوجهات الكلامية.

لكن ابتداء من القرن الثالث الهجري ظهر المسار الفكري للمتكلمة وانحصر توجههم السياسي، ونتيجة لذلك تناسلت الفرق والطوائف الإسلامية تبعا لاختلافاتها العقدية مما أوقعها في سلبيات عديدة أبرزها:

- التكفير المتبادل.

- كثرة التنافر والاختلاف المذموم: ذلك أن أخطر اختلاف يمكن أن يصيب الأمة إنما يتجلى في العقيدة.

ومعلوم أن الاختلاف سنة ماضية. وأن القرآن الكريم لا ينهى عن الاختلاف بل عن التفرق والنزاع كما في النصوص القرآنية الآتية: { واعتصموا بحبل الله

جميعا ولا تفرقوا}[1] { ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم}[2] { ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتكم البينات}[3]

لذلك فالأصل لا يكمن في اجتثاث الاختلافات، بل في التلاقي والتحاور ليغني الرأي الرأي. ذلك لأن الحوار لا يكون إلا ضمن مناخ التعدد.

وإن منطلق الإقناع في الفكر الإسلامي يكتسي شرعيته بالممارسة العلمية لتداول المسلمين لهذا المنهج. وكل ذلك من أجل تحصيل المعرفة وتبليغها وتثبيتها والتداول بشأنها.

وبعيدا عن السلبيات العديدة لعلم الكلام والجدل الإسلامي الذي وظفت ضمنه طاقات فكرية هائلة للأمة دون أن تنتج شيئا ذا بال: فإنه لا يمكن لأحد أن ينكر دور المتكلمين في مواجهة التيارات الاعتقادية المادية المخالفة للإسلام مما يعني أن المتكلمين استوعبوا استيعابا منهجيا كاملا ظروف عصرهم من الناحيتين العلمية والتاريخية، وتسلحوا بأساليب استدلالية وإقناعية قوية تتسم بالدقة والتحليل والعمق.

3- فيما يتصل بالتصوف

الأصل في التصوف تطهير النفس من أدرانها سعيا لاكتساب حب الله ورسوله وهذه التزكية النفسية تنمو وتتعاظم كلما استزاد الإنسان منها وارتقى في مقامات الإيمان ودرجاته عن طريق تفعيل طرق مراقبة العبد لله تعالى وترقيه في مدارج الإحسان.

وقد تحدث الإمام أبو الحارث المحاسبي في كتابه "الرعاية لحقوق الله" أن خطوات التزكية تبدأ بالرعاية لحقوق الله في القلب ثم تنتقل إلى الجوارح.

---

[1] سورة ال عمران الآية 103
[2] سورة الأنفال الآية 47
[3] سورة ال عمران الآية 105

ولا أحد يجادل فيما سبق من حيث سعي عباد الله من العلماء والربانيين إلى التعارف على مسحة ترغيبية وترهيبية ينبغي أن تقترن بكل علم وتصطبغ نفس كل مشتغل بأي علم من خلال التذكير الدائم بتفاهة الدنيا وأنها مسلك موصل إلى الآخرة.

- والإشكال في التصوف لا يكمن في اختيار الزهد كممارسة ولا في الانقطاع عن الدنيا. وإن كان هذا الأمر مخالفا لسنة خير الأنام..

ولكنه يكمن في التوجه الفكري والفلسفي للتصوف وانتظام أهله في منحى الاتحاد والحلول والتعاهد على ذكر الله وفق إشارات مخصوصة وشطحات ودقائق معلومة عندهم وخاصة في مدارج الترقي الإيماني. التي قد تصل عند بعضهم إلى التخلص من التكاليف الشرعية.

فضلا عن حال الكشف الذي يسمح لصاحبه بالاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية. وحال الذوق الذي يكون نورا مقذوفا في القلب ناتج عن تجلي الله في قلوب أولياءه. والوجد بما يعنيه عندهم من رفع الحجاب وملاحظة الغيب.

وغير ذلك مما ابتدعته الصوفية من مصطلحات غريبة من مثل: الفناء والسكر والهيمان والفرق والعطش... وكلها مقامات مخصوصة لا نجد لها أصلا في القرآن الكريم ولا في سنة النبي محمد عليه أزكى الصلاة والسلام.

4- فيما يتصل بالفلسفة الإسلامية

الأصل في الفلسفة أنها تتجلى في الطريقة العلمية للنظر والأسلوب المنهجي في التفكير والذي ينحو إلى التسلح بقيم التفكير السليم والإبداع الواعي والنظر الثاقب والتحليل الرصين.

والفلسفة الإسلامية هيكل كبير قوامه ودعامته: الرؤى المختلفة التي أنتجها مفكرون مسلمون في قراءتهم للفلسفة اليونانية وإنشاء رؤى فلسفية على منوالها أو استفادة منها أو تغذية على أصولها ونظرياتها. والممثلون للفلسفة الإسلامية هم: الكندي والفارابي وابن باجة وابن سينا وابن رشد وابن طفيل.

وبعيدا عن حديث كثير من المثقفين عن أصالة الفلسفة الإسلامية يمكن القول أن أغلب تصنيفات وآراء من سبق من المفكرين المسلمين لا تتجاوز الأطروحات اليونانية كثيرا اللهم إلا فيما ارتبط بمسحة التوفيق بين العقل والدين التي غلبت على جل نظرياتهم وتواليفهم ولذلك فإن قول إرنست رينان في كتابه "تاريخ اللغات السامية" بأن "الفلسفة الإسلامية ما هي إلا فلسفة يونانية مكتوبة بحروف عربية " ولو أنه ينطلق من منطق عنصري بغيض، فإن رأيه فيه نصيب من الصحة.

لكن ورغم ذلك فإن العمق المنهجي والأسلوب الاستدلالي الذي يوجد في الفلسفة يعد أحد حسناتها الكبيرة: الشيء الذي يعكس بوضوح التأثير المنهجي للفلسفة في أصول الفقه وفي مباحث علم الكلام.

وأهم تأثير للفلسفة يتجلى في تأثير الفلسفة في التكوين العلمي للفقهاء.

إذ لا يمكن أن نتصور أن الإمام الغزالي قد ألف المستصفى وأبدع في حسن عرض المادة الأصولية دون أن يكون له تكوين فلسفي لذلك وجدنا خصمه ابن رشد يصور هذه الحقيقة حيث يقول: "إن الغزالي لم يحز النباهة لولا أنه تمرس بنصوص الفلسفة".

IV. مفهوم الفكر الإسلامي

لعل المنطلق العلمي لأي خطاب يتحدد من خلال بيان مفهومه اللغوي الذي سيجلي حتما دلالاته العلمية كما سيبين حده الاصطلاحي وحقيقته العلمية. ومفهوم الفكر الإسلامي يتكون من لفظين: الفكر والإسلام. لذلك يجب الكشف عن دلالتهما قصد استخلاص وتخريج المعنى المركب للفكر الإسلامي

1- مفهوم الفكر.

إن استقراء المعاني اللغوية لكلمة "فكر" في المعاجم اللغوية تفيد التدبر وإمعان النظر والتأمل. والفكر لغة: هو تردد الخاطر بالتأمل والتدبر بطلب المعاني.

"والفكر بالكسر ويفتح إعمال النظر في الشيء كالفكرة والفكرى بكسرهما جمع أفكار. فكر فيه وأفكر وفكر وتفكر وهو فكير كسكيت وفكير: كثير الفكر. ومالي فيه فكر وقد يكسر: أي حاجة"[1]

وإذا كان الفكر لغة ودلالة يأتي بمعنى التدبر والفهم والإدراك فهو بذلك يعني تلك الفعالية في استخدام العقل قصد الوصول إلى فهم وإدراك شيء معين- من المفروض طبعا- أن يكون مركزا في محيط محدود.

وفكر يفكر تفكيرا أو فكرا: تفيد النشاط العقلي وحضور وظيفته التي هي العقل والفكر. وبشكل موجز فإن الفكر هو: "إفراز عقلي لإدراك ما حوله من وجود "[2] ذلك الإدراك الحاصل لدى مجموعة بشرية معينة خلال فترة زمنية محددة لما أنتجته من آراء ونظريات وأفكار علمية في مختلف الفروع المعرفية.

وهذا الإدراك لا يمكن أن يكون على هذا المستوى إلا إذا تجسد عبر فهم المحيط الدائر به واستيعاب كامل له وذلك وفق الظروف والملابسات الدائرة

[1]) القاموس المحيط للفيروز أبادي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع المجلد الثاني.
[2]) المذهبة الإسلامية كتاب الأمة لمحسن عبد الحميد.

بهذا المحيط. وعلى هذا الأساس فالفكر هو: خلاصة مبدعات الإنسان في المجتمع في نطاق الأسس المعتمدة داخل هذا المجتمع كمنطلق وأرضية تشكل المعطيات العقدية والشعورية والروحية والعقلية لحاجات الإنسان. إضافات إلى المنطلقات الواقعية التي تعتبر معطيات زمنية وتشريعية تتطور قصد مسايرة المستجدات وتلبية الحاجات والاهتمامات. تلك المسايرة التي تتم عن طريق التنظير والممارسة.

وعلى هذا الأساس فإن الفكر هو المعيار الذي يمكن من إقامة علاقات كونية وروحية مع شبكة من العلاقات الإنسانية الواقعية تتضمن داخلها مقومات تشعر الإنسان بتطوره ورقي فاعليته العقلية تلك الفاعلية التي تجسد مهمة الفكر داخل المجتمع والتي هي: تعزيز البنيات الداخلية للمجتمع الممثلة لنقط الارتكاز في حياة الفرد والجماعة.

الفرد كعنصر فعال واع بمحيطه ومشاكله وساع بجهده وفكره إلى تجاوزها – والجماعة كبوثقة تنظم جهود هذا الفرد في إطار تنظيمات ومؤسسات تطور المجهودات الفردية وتؤطرها وتأخذ بيدها.

فالفكر إذا يبقى هو المنطق والقانون بل صمام الأمان الذي تعبر من خلاله الفئة الواعية المتبصرة لتبرز وتنير الطريق للآخرين باعتبارها تمثل الطليعة في المجتمع وجوهر الفاعلية وذاتها فيه، ورمز النشاط والتغيير نحو الأفضل داخله.

2- مفهوم إسلام

إن اللفظ الثاني المكون لمفهوم "فكر إسلامي" هو كلمة "الإسلامي" والتي تنقسم بدورها إلى اسم وهو "الإسلام" وإلى حرف هو "ياء النسبة" وإذا أردنا أن نتبين معنى كلمة "إسلام" لغة فإننا نجدها تفيد "الانقياد والامتثال لأمر الآمر ونهيه بلا اعتراض"[1]

وقد سمي الإسلام بهذا الإسم لأنه طاعة لله وانقياد لأمره.

وهو بهذا المعنى الشامل لا يقتصر على رسالة الإسلام التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم بل يتعداها ليشمل جميع الرسالات التي سبقته وكذا دعوات الأنبياء أجمعين والتي كانت تدور في هذا الإطار. فما من رسول إلا وكان يدعو لطاعة الله وإفراده سبحانه بالألوهية والربوبية. لهذا لا عجب أن نجد أن القرآن الكريم يؤكد على أن الإسلام دين العالمين ودين المرسلين أجمعين وذلك على لسان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ومن ذلك قول موسى عليه السلام **"فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين"**[2] وقول ملكة سبإ عند إيمانها **"وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين"**[3] وفي نفس الإطار قال سحرة فرعون عند إيمانهم: **"ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين"**[4] كما قال الحواريون لعيسى عليه السلام: **"آمنا واشهد بأنا مسلمون"**[5].

وكثير من الأنبياء يؤكدون على معنى الإسلام الشامل في الأمر به والدعوة إليه والوصية بتعهده كما هو الشأن في وصية يعقوب لبنيه **"أم كنتم شهداء إذ**

---

[1]) مبادئ الإسلام لأم الأعلى المودودي الكتب الإسلام ص4
[2]) سورة يونس: 84.
[3]) سورة النمل الآية 44.
[4]) الأعراف الآية 126.
[5]) آل عمران الآية 56.

حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آباءك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون"[1].

وقد ورد في الحديث الصحيح فيما أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ما يفيد بأن دعوة الأنبياء إلى الإسلام دين واحد حيث قال صلى الله عليه وسلم: **"والأنبياء اخوة أبناء علات أمهاتهم ودينهم واحد".**

وانطلاقا من اعتبار المعنى الإجمالي لكلمة إسلام تعني الاستسلام لله فيما أمر وفيها نهي على لسان الوحي الذي جاء به رسل الله. ولما كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام هي آخر الدعوات وخاتمة الرسالات وموجهة إلى العالمين فقد اقتضت حكمة الله أن تكون ناسخة للرسالات التي سبقتها في كثير من الأحيان أو مقررة لبعض فروعها ومؤسسة لكثير من التشريعات الجديدة. فشكلت هاته المعطيات رسالة الإسلام الشاملة الواسعة التي تتطرق بشكل شمولي لجميع الجوانب المكونة لحياة الإنسان سواء تلك التي تخص أمور دينه أو تلك التي تمس حياته العامة على نحو ما بينه الله تعالى في القرآن الكريم (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)[2].

وقد جمع الفقهاء الجوانب التشريعية في الإسلام بقولهم"اعلم أن مدار أمور الدين على الاعتقادات والآداب والعبادات والمعاملات والعقوبات"[3]" ويدخل في الآداب قضايا الأخلاق والعبادات التي هي خمسة....والمعاملات خمسة: المعاوضات المالية والمناكحات والمخاصمات والأمانات والشركات...والعقوبات خمسة: القصاص وحد السرقة والقذف والردة"[4].

---

[1]) سورة البقرة الآية132.
[2]) النحل الآية 89.
[3]) كتاب "الإسلام لسعيد حوى دار الكتاب العلمية بيروت الطبعة الثانية ص:9.
[4]) كتاب "الإسلام لسعيد حوى دار الكتاب العلمية بيروت الطبعة الثانية ص:9.

وكل هاته الجوانب بينها الإسلام في أصليه التشريعيين الأولين: القرآن والسنة كما بينها وطورها الفقهاء انطلاقا من إجماعهم واجتهاداتهم التي مثلت المستوى الأول في تكوين وبناء الفكر الإسلامي باعتباره قد فسر مصادره الأولى، ووسع مسالك الاجتهاد انطلاقا من تلك المصادر وفي إطارها وذلك لخدمتها اعتمادا على حسن فهمها وسلامة تنزيل نصوصها.

وتجدر الإشارة إلى أن كلمة "الإسلامي" تتكون من لفظ "الإسلام" ومن ياء النسبة والتي تفيد نسبة الفكر إلى الإسلام. وهاته النسبة تفرض لغويا ودلاليا وجوب اقتران الفكر بالإسلام كنصوص مبنية عليها تصوراته وأسسه وتشريعاته ونظريته واجتهاداته باعتبار أن الفكر نظر وتأمل وفاعلية عقلية تعمل في إطار الإسلام.

واعتبارا من هاته النسبة (نسبة الفكر إلى الإسلام): يبرز لنا المعيار الحقيقي الذي ينبغي أن توزن به الأفكار انطلاقا من تفسير وتحليل المادة اللغوية للفكر الإسلامي. فالفكر أي فكر إذا أراد أن يقرن بالإسلام وينسب إليه فينبغي أن يسير وفق منظومته ولا يخرج عن إطاره أو عن إحدى أصوله سواء كانت عقدية أو تشريعية.

وبهذا التصور الواضح نستطيع أن نقوم كثيرا من الإنتاجات الفكرية التي يعبر عنها بأنها "فكر إسلامي" وذلك بأن نزنها بأسس الإسلام عقيدة وشريعة.فإن وافقت تلك الأسس أو لم تخرج عن إطارها ولم تتصادم معها فهي من الفكر الإسلامي، وإلا فهي صورة مغلوطة عنه وضعها أصحابها لأهداف وغايات معروفة مكشوفة أو مستورة مبيتة. ولذلك فإن مفهوم الفكر الإسلامي يبرز من خلال أصلين أساسيين:

- **أصل إلهي**: يتجلى في مظهري الوحي: في القرآن أولا: باعتباره المصدر الأول للوحي المباشر. وفي السنة ثانيا: لأنها شكل آخر من أشكال الوحي غير المباشر{ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} [1] ومن هذين الأصلين تستقى التصورات والأحكام. وبهما تؤصل أساليب النظر والاستدلال ووفق فهمهما تقاس الاجتهادات والأفهام.

- **أصل بشري**: يتجلى في الجهد العقلي الذي يبذله العلماء والمفكرون في كل زمان ومكان لأجل استيعاب مظهري الوحي وحسن فهمهما، واستنباط الأحكام منهما وتنزيلها على الأحداث والوقائع المتغيرة في كل زمان ومكان، والفقهاء لا تتفاوت منازلهم حسب حصيلتهم المعرفية المكتسبة من حفظ النصوص والأحكام، بل حسب سلامة وسداد تنزيلهم لتلك النصوص على أرض الواقع.

3- تجليات الفكر الإسلامي في المجالين التربوي والسياسي

انطلاقا من المفهوم العام للفكر الإسلامي الذي يتجلى في السعي الدائم للعلماء والمفكرين في كل زمان ومكان إلى فهم الأصول الشرعية وحسن تنزيلها على أرض الواقع وإعمال الجهد في استيعابها واستنباط الأحكام منها والاجتهاد في تطبيقها بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد في ضوء الفهم الحصيف للواقع ومتطلباته والعصر وتحدياته، فإن العلماء المسلمين قد أسهموا في تأسيس نظريات علمية متعددة تسع أغلب جوانب الحياة وتستجيب لأغلب شروط الحياة الإسلامية وخاصة في المجالات التربوية والفقهية والسياسية والاقتصادية والإدارية والأدبية.

[1]) سورة النجم الآيات 3 و4.

وسنعمل بحول الله على إماطة اللثام عن جانبين مهمين من تراث الفكر الإسلامي. يتعلق أولها بالنظرية التربوية الإسلامية وثانيهما بالنظرية السياسية في التراث العلمي للفكر الإسلامي.

أ- النظرية التربوية في الفكر الإسلامي:

إن المقاربة العلمية لمفهوم التربية ودلالتها تفيد أن التربية عملية دائمة مستمرة في حياة الإنسان وبموجبها تنتقل العقائد والأعراف والقيم من جيل إلى جيل. لذلك فكل إنسان يحتاج إلى من يتعهده في الصغر بالتربية والتوجيه حتى إذا كبر فهو يتعهد نفسه ويربيها وينمي إيمانه كما يطور فكره والمهارات التي يكتسبها. والإنسان يحافظ على التربية بالزيادة والإنماء بما يحقق الطابع الشمولي لحاجيات الإنسان ومتطلباته العقدية والفكرية والوجدانية والعقلية والبدنية والجمالية.

وكل هذه الجوانب تحتاج إلى تربية وتغذية دائمة: فكما أن الإنسان يغذي بدنه فهو يحتاج دوما إلى تغذية روحه وقلبه وعقله.

وبموجب ذلك فهو يحصل على التربية الإسلامية المنشودة التي تكسبه الصلاح والذي يتجسد في استقامة السلوك ونقاء الضمير وصفاء القلب والعقل معا.

لذلك نستنتج بأن التربية الإسلامية هي الوسيلة الرئيسة لتكوين مجتمع صالح: أفراده وأسره متآلفون أحسن التآلف متعاونون متآزرون. كل واحد منهم يقوم بواجباته ومسؤولياته بصدق وإخلاص وقوة وأمانة لأنه اكتسب وسائل التربية الإسلامية وحافظ عليها وسعى دوما للرفع من مردوديته التربوية الشيء الذي ينعكس إيجابا على النسيج الاجتماعي والتربوي للمجتمع ككل.

ونظرية التربية الإسلامية هي: مجموعة من التصورات والمفاهيم التربوية المستمدة من القرآن والسنة والموجهة للدراسات التربوية والاجتماعية والنفسية والتي تتضمن كل المقتضيات والرؤى المرتبطة بإعداد الإنسان المسلم حسب الأصول الإسلامية وفي ضوءها يمكن تفعيل العمليات التربوية الإسلامية وتقويمها وترشيدها إلى الأفضل والأحسن باستمرار.

ومعلوم أن كل نظرية لها أصول تبنى عليها وأهداف ترنو إلى تحقيقها وأصول النظرية التربوية الإسلامية هي الأصول الاعتقادية والتشريعية والتعبدية والأخلاقية أما أهداف التربية الإسلامية فإنها تتوخى: تحقيق البناء العلمي للشخصية المسلمة المتكاملة المحققة لخير الفرد والمجتمع المكافحة لكل الشرور والمفاسد، المكتسبة لمكارم الأخلاق وللعلم النافع مع القلب الخاشع. والذي ثمرته الأساس العبادة القويمة والسلوك الحسن وحسن التكيف مع الناس وإشاعة الفضائل بينهم، وتصحيح اختلالاتهم وتقويم ما حقه التقويم.

وأعظم نموذج في التربية والتعليم سواء على مستوى التوجيه والترشيد أو على مستوى التنبيه والتصحيح لمختلف الاختلالات والأخطاء، أو فيما يتصل بمراعاة أحوال المخاطبين والرفع من مردوديتهم التربوية والعلمية هو رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف لا وهو المصطفى المختار الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

وبموجب ذلك نجد أن السنة النبوية ترشح بملامح تربوية وعملية وتوجيهية ثمرتها الأساس بناء الدولة الإسلامية في عمقها الحضاري والإنساني والأثر العظيم لجيل الصحابة فيمن بعده وقوة نسيجهم التربوي والاجتماعي .

ويمكن استخلاص أهم المقتضيات التربوية للسنة النبوية في الجوانب الآتية:

● مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لأحوال المخاطبين بناء على سؤالهم: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يسأل سؤالا واحدا من طرف كثير من الصحابة. لكن جوابه كان متنوعا يراعي في ذلك أحوال كل سائل وما يحتاجه. ومن ذلك سؤال بعض الصحابة وطلبهم التماس وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في قولهم: أوصني يا رسول الله فيجيب أحدهم بقوله : لا تغضب ويقول للآخر: اتق الله ويوجه الثالث: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها.

● استخدام النبي صلى الله عليه وسلم لأسلوب التدرج في التربية والتنبيه إلى وجوب تجاوز الأخطاء، والبعد عن الباطل وقبول الحق ومثاله الشاب الذي جاء يستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم ويطلب منه الترخيص في الزنا. فيجيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتحبه لأمك قال لا والله جعلني الله فداك قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أتحبه لابنتك قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أتحبه لأختك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال: أتحبه لعمتك؟ أتحبه لخالتك فأجاب نفس الجواب، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه.[1]

● تغيير وضعية الجلوس على نحو ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحريمه لشهادة الزور، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم متكئا فجلس مما يدل على خطورة الموضوع وعظم هذه الكبيرة ومما يبين ذلك تكراره لتحريمها حتى قال الصحابة: وما زال يرددها حتى قلنا يا ليته سكت.[2]

1 رواه الإمام أحمد 256/5 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة
2.صحيح البخاري 30/5 كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور رقم الحديث .2511

● اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم للتكرار كأسلوب للتنبيه والتثبت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **والله لا يؤمن قالها ثلاثا. قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه.**[1]

وقد زخر التراث التربوي الإسلامي بمجموعة من الكنوز والدرر العلمية المفيدة التي تتجلى في مجموعة من التآليف والتجارب العلمية التي تزاوج في معادلة موضوعية فذة بين التربية والتعليم، بين ربط العلم بالعمل وخاصة في العلاقة بين المعلم والمتعلم والتي هي علاقات نفسية واجتماعية وإدارية:

- نفسية: وتتجلى في المواصفات الواجب على المعلم أن يراعيها مع تلامذته حتى يؤثر فيهم ويكسبهم الجرعة المناسبة المطلوبة في المرحلة التي يؤهل فيها الطالب سواء كانت ابتدائية أم متقدمة.

- اجتماعية: وهي التي تجعل دور المعلم لا يقتصر على المجال العلمي والمعرفي. بل من الواجب عليه أن يعامل الطالب بالمعروف وينايديه بأحب الأسماء إليه ويسأله عن أحواله وأحوال أهله ويتلطف معه كما ذكر القابسي: أي يندمج معه ليسهم في حل كل المشكلات التي تعرض له والموانع التي تصرفه عن الإقبال على العلم بكل شغف ومحبة.

إدارية: وتختص بأنواع التخطيط الإداري للتعليم ومجالاته المتنوعة التي منها: حديث العلماء وأهمهم ابن سحنون والزرنوجي عن أجرة المعلم ووجوبها على أولياء الأمور حتى أن الإمام المغراوي998هـ رأى أن وجوبها على المجتمع يفوق الجهاد والحج. وقصده أن يبين الضرورة الاجتماعية في الإنفاق على طلب العلم.

1.أخرجه البخاري 10/8 كتاب الأدب باب اسم من لا يأمن جاره بوائقه رقم الحديث 6016

وأغلب العلماء يقولون بحرمة اشتغال المعلم بأي شغل يشغله عن مهمته العلمية لأنه يستلم عليه أجرا. ومن أهم المقتضيات الإدارية في تنظير العلماء المسلمين حديثهم عن قاعة الدرس ومواصفاتها. وقد تحدث ابن النفيس عن المواصفات الجديرة بحجرة الدرس. كما تحدث العلماء عن العطلة الأسبوعية أو السنوية ومتى يجاز الطلبة ومتى يحتفى بهم، ونوعية الهدايا التي تعطى لهم عند ختم القرآن الكريم أو ختم أي كتاب مما يمثل نموذجا يحتذى به.

- كما ركز العلماء على العادة لأنها تركز وترسخ الجانب العملي في التعليم، إذ لا يمكن أن نعتاد مثلا على صلاة الصبح في المسجد إلا بعد أن تصير آلية وعادة نقوم بها بشكل منتظم ويومي وكذلك الشأن بالنسبة للطفل فإذا تعود عادة اكتسبها وألفها.

- كما تحدث العلماء عن العقاب ومن ذلك ما ذكره الإمام المغربي ابن عرضون أن من الأطفال من يرتدع بعبوسة، ومنهم من لا يرتدع إلا بالتوبيخ، ومنهم من لا يرتدع إلا بالضرب.

وما سبق ذكره يعد نزرا يسيرا من الآراء التربوية للعلماء المسلمين على وجه الإجمال، أما على مستوى البسط والتفصيل فإن أهم من أسهم في التنظير التربوي الإسلامي هم:

- **الإمام المالكي ابن سحنون** في كتاب "آداب المعلمين والمتعلمين" والذي تحدث عن المنهاج الدراسي وقسمه إلى قسمين:

- قسم إلزامي ويتجلى في وجوب تعليم القرآن أولا ثم الحديث النبوي الشريف ثم النحو.

- وقسم اختياري: تتفاوت فيه أنظار العلماء بين الضروري والكمالي. وبين حاجة المتعلم وطلب أولياء أموره.

- كما تحدث ابن سحنون عن تنظيم وقت التحصيل وخاصة بعد الفجر. وطريقة الانتقال الفكري والعلمي من درس لآخر وأن الواجب على المعلم العمل على:

- تخصيص وقت للمراجعة أو المناقشة والتداول بين ما حقه أن يثبت من آراء، وما حقها الطرح، وعادة ما تكون المراجعة في آخر الأسبوع، والغرض من ذلك تقوية جودة الفهم وقوة الاستيعاب لدى المتعلمين. ومراعاة الفروق الرئيسة بينهم.

- كما تحدث ابن سحنون عن البرنامج الإداري للتعليم وعن تخصيص أيام الدراسة والإجازة الأسبوعية يوم الجمعة وعن العطلة السنوية التي عادة ما ترتبط بالعديدين، وأن عدد أيام العطل يتراوح بين ثلاثة و خمسة أيام.

- **الإمام القابسي 403هـ** تحدث عن دراسة الأحوال المتعددة للمعلمين والمتعلمين، وأهم ما برز فيه هو حديثه عن سياسة معلم الصبيان. أي المقتضيات البيداغوجية التي يجب على المعلم أن يعلم بها طلبته، والطرائق العلمية التي يترقى بها المتعلمون حتى يصلوا إلى درجة الكمال بدءاً بوجوب استئجار المعلم والصبيان وصولا إلى تأهل المتعلمين سلوكيا وعمليا حتى تستقيم أحوالهم وتنمى أفكارهم ومداركهم.

- **الإمام ابن مسكويه 421هـ** ومن أهم ما برز فيه بناؤه السديد للسلوك الرشيد للطفل وللمتلقي من خلال كتابيه "تهذيب الأخلاق" و"رسالة وصية لطالب الحكمة". والكتابان معا يجليان المبادئ الرشيدة للأخلاق التي ينبغي أن يضطلع بها ويلقنها المعلم للمتعلم بدءاً بمبادئ الأخلاق وكيف تهذب؟ والأولويات التي يجب أن يراهن عليها المعلم؟ وقيم الخير التي يجب أن

يتعلمها الطلاب؟ وكيف تكتسب صحة الأنفس؟ ذلك أنه بسمو العقل ورشاده يسمو القلب.

والإقناع عند ابن مسكويه يتم عبر العقل والقلب وعلى هذا الأساس وجب على المعلم أن يتقرب إلى صبيته ويكون خير قدوة لهم ليرفع من مردوديتهم التربوية ويهذب أخلاقهم ويقوي قلوبهم.

- **الإمام الزرنوجي 591هـ** له كتاب "تعلم المتعلم طريقة التعلم" تحدث فيه عن ماهية العلم والفقه وفضلهما والنية قبلهما ثم وجوب اختيار الأولياء للمعلم وحسن تأسي الطلبة بأستاذهم.

كما تحدث أيضا عن الجدية وطرق اكتساب الطالب للمواظبة والجد على مستوى التحصيل. وعقد فصلا سماه بالأشياء التي تورث الحفظ والأشياء التي تورث النسيان. فبين ما يورث الحفظ وهو الجد والمثابرة والمواظبة والاستمرارية ثم نصح الطلاب بتقليل الأكل والطعام، وحث على السجايا التي تؤثر إيجابا على قوة الحفظ، وأهمها قيام الليل وإلْف ذكر الله والتقرب إليه.

- **ابن جماعة733هـ** وقد تحدث عن شرف العلم وفضله ومكانته في المجتمع وأدب العالم مع نفسه وبين أنه ينبغي أن يتحلى بمجموعة من المواصفات كالورع والعلم والتقوى والإحسان والقدوة، وبين أن هاته المواصفات هي التي تؤسس للعلاقة الإيجابية التي تربط بين العالم والمتعلم.

ولا شك أن مختلف الآراء التربوية للعلماء المسلمين تكتسي قيمة علمية رائدة على الصعيد التربوي. كما تنبئ عن إدراك هؤلاء العلماء لواقعهم وسداد نظرهم، وإدراكهم المتميز للحاجيات العلمية والتربوية للمتعلمين وسبل الرفع

من مردوديتها. فضلا عن عمقهم المنهجي وشمولية تنظيرهم الذي يؤلف بين القضايا العلمية والتربوية والإدارية.

ب- تجليات الفكر الإسلامي في المجال السياسي

من أهم تجليات تاريخ الفكر الإسلامي تنظير العلماء في المجال السياسي الشرعية، بما يتوافق مع الأصول الشرعية ويراعي تناسب هذا التنظير مع المقاصد السنية للفكر السياسي الإسلامي.

ومن المعلوم بداهة أن السياسة تعني تدبير أمور الناس والقيام بإصلاحها، وفي الحديث المتفق عليه "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء"[1] :أي تتولى تنظيم أمورهم. و المعنى المستخلص من الحديث أن السياسة هي : العلم الذي تدبر به أمور الدولة.

والسياسة فضلا عن كونها علما، فهي فن. إذ أن ممارستها لا تنحصر في تطبيق القانون النظري، بل إنها تستلزم براعة بقواعد التسيير تكتسب وتثرى بالتجربة.

وفي المنظور الشرعي تمثل السياسة الطريقة التي يتم بموجبها رعاية شؤون الأمة بما ينسجم مع الأحكام الشرعية ويصلح شؤون الناس ويدبرها ويرعاها.

ومن أقدم المفاهيم التي استخدمها العلماء في دراسة السياسة في الشريعة الإسلامية مفهوم السياسة الشرعية. ومرد ظهور هذا المصطلح في وقت مبكر يرجع إلى انحراف بعض الأنظمة السياسية كما بعض الأحكام والخلفاء عن المقاصد والقواعد الشرعية التي توجه الممارسة السياسية وكيفية تدبير الحكام للشأن العام.

[1] صحيح البخاري 573/6 كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل. رقم الحديث 3268.

لأجل ذلك نجد أن العلماء المنظرين العارفين بمقاصد التشريع السياسي الإسلامي، المدركين للواقع ومنطلقاته والعصر وانحرافاته قد قيدوا السياسة بوصفها شرعية لأجل تمييزها عن السياسة غير الشرعية، كما استعملوا وصف السياسة العادلة في مقابل ما كان سائدا في عصرهم من أوجه متنوعة للسياسة الظالمة، كما يحكي الإمام ابن تيمية في فتاواه.

ونفس الأمر يفسر تأسيس الدولة العباسية لولاية المظالم والتي تعكس شيوع الظلم من طرف بعض الولاة وتعاظم ظلمهم واستغلالهم لمصالحهم ونفوذهم وتعطيلهم لحقوق الناس وإيثارهم تحقيق مصالحهم الخاصة على حساب المصالح العامة للأمة.

لأجل ذلك فإن السياسة الشرعية تفيد وجوب استناد السياسة القائمة على قواعد الشرع وأحكامه، إذ ليست كل سياسة شرعية. والدليل على ذلك في التاريخ الإسلامي كما في الأوضاع الحالية للمسلمين وجود سياسات تعادي الشرع وتُحَكِّم أفكارا وتوجهات غير اسلامية. لذلك فإن السياسة الشرعية تكون شرعية في منطلقاتها وفي غاياتها وفي مناهجها وفي أساليبها ووسائلها.

ولأن السياسة الشرعية تقضي بتدبير مختلف شؤون الناس فإنها تضم موضوعات كثيرة ترتبط بأغلب مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومنها: نظام الحكم والعلاقات الخارجية للدولة الإسلامية، والاقتصاد والمال والعمران والقضاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الجدود والتعازيز وغيرها.

والغاية من السياسة الشرعية هي: الالتزام بأحكام الشرع ومقاصده في كل جوانب الحياة ورعاية شؤون الناس والإشراف على تدبير حاجياتهم ومصالحهم بما يحقق مقاصد الشريعة الإسلامية وأحكامها.

وتجدر الإشارة إلى أن من أهم المنطلقات الرئيسة للفكر السياسي الإسلامي أن التصور الإسلامي للحكم السياسي يحيل إلى أن الدين الإسلامي لم يضع للأمة نظاما سياسيا مستقرا محدِّدا بالتفصيل نوع النظام وشكله وطبيعته، كما لم يبين جوانب الحكم وطرق تدبيره، وإنما قدم قواعد كبرى وأهدافا عظمى تحدد ما يجب أن يستند إليه الحكم من قبيل: قواعد إقامة العدل وتحرى الإنصاف وتحقيق الأمن والأمان واعتماد الشورى في التدبير وتحقيق الأخوة والتعاون بين الناس.

ويبقى أن الاستناد إلى تجربة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين في تدبير شؤون الحكم والاستفادة منها يُعد نواةً علمية تدعو المسلمين في كل زمان ومكان إلى الاهتداء بملامحها العلمية واجتهاداتها النظرية، كما تستنفر جهود العلماء إلى تطوير الاجتهاد في الممارسة السياسية الإسلامية.

كما أنها تؤسس للتمييز بين القضايا الشرعية المرتبطة بالأحكام، وبين الوعي بالمتطلبات الدنيوية وفهم وتدبير مختلف طرائقها وآلياتها وسبل الرفع من مردوديتها وإنتاجها على نحو ما أرشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: " أنتم أعلم بشؤون دنياكم"[1].

[1] صحيح مسلم عن أنس كتاب الفضائل باب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي رقم الحديث 2363.

كما أن إدارة شؤون الدولة من قبل الخلفاء الراشدين واستفادتهم من حضارتي الفرس والروم في تنظيم شؤون الدولة كالدواوين والسجون وسياسة الخراج تعد نماذج بارزة في التدبير السياسي السديد.

خصائص النظام السياسي الإسلامي وأهدافه

إن خصائص النظام السياسي الإسلامي تستند إلى كونه نظاما ربانيا إلاهيا باعتبار أن الله سبحانه وتعالى هو المشرع الأعلى لشؤون الناس بما ينفع الناس (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)[1].

كما أن هذا النظام أخلاقي يقوم على الفضائل والقيم ويستند إلى وجوب المحافظة على العهود والمواثيق والرفق والبر والإحسان حتى في معاملة المخالفين والأسرى في حالة الحرب كما في حالة السلم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُّوهم وتُقسطوا إليهم) الممتحنة آية 8.

فضلا عن أن النظام السياسي الإسلامي نظام شامل كامل يستجيب لمختلف حاجيات الناس ومتطلباتهم. كما يقوم على العدل والإنصاف (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم أن تحكموا بين الناس بالعدل)، وبذلك تتحقق عالمية هذا النظام وإنسانيته بحكم أنه لا يفرق بين أبيض ولا أسود ولا عربي ولا عجمي إلا بالتقوى. فهو يستجيب لمصالح الناس ويحقق منافعهم أنَّى كانوا وفي أي أرض أو عصر عاشوا.

[1] سورة الملك الآية 15.

لأجل ذلك كانت أهداف النظام السياسي الإسلامي تتوخى في المقام الأول :

- السعي لإقامة العدل وتحقيق العبودية لله.
- توخي الإنصاف بين الناس و تحريم التفريق بينهم والتمييز بين أحوالهم وأصولهم الاجتماعية والمادية.
- إصلاح دنيا الناس وتدبير حاجاتهم.

ولتفعيل هذه الأهداف وجب على المسلمين في كل زمان ومكان السعي لتحقيق قواعد النظام السياسي الإسلامي التي أقرها القرآن الكريم وباشر تنفيذها عمليا الرسول الكريم عليه أزكى الصلاة والتسليم.

وقد زخر التاريخ الإسلامي بثرات فكري سياسي عميق تجلى في مجموعة من التآليف المفيدة في مجال السياسة الشرعية وأهمها:

- كتاب الأحكام السلطانية للماوردي.
- الأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء.
- السياسة الشرعية في أحوال الراعي والرعية لابن تيمية.
- الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية.

فضلا عن كتب الأئمة الجويني والملاقي الغرناطي و المقريزي وغيرهم.

والأبواب الكبرى التي تعرضت لها هذه الكتب هي: الخلافة والوزارة والحسبة والقضاء والولايات (الوظائف) والحدود والتعازير...

ومجموع كتب السياسة الشرعية أكدت على وجوب الاستناد إلى العلاقة التعاقدية بين الراعي والرعية وكل منهم له حقوق وعليه واجبات. وحين تنتهك هذه الواجبات فلا معنى لتحصيل الحقوق.

وأهم حقوق ولي أمر المسلمين:

- الإخلاص و الدعاء له.
- التوقير و الاحترام.
- السمع و الطاعة.
- النصح و التقويم.
- النصرة و الجهاد معه.
- الاجتماع وعدم الفرقة. مما ينعكس على مهابة الدولة وشيوع الأمن واطمئنان الناس.

أما واجبات ولي أمر المسلمين فتتجلى في:

- الحكم بين الناس بشرع الله (فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم)[1].
- النصح للرعية في كل أموره، بحيث يجتهد في ذلك ويبذل معهم وسعه فلا يضيع حقوقهم ويغشهم، ويستحضر قول الرسول عليه السلام "ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة"[2].
- تحرى معاملة الرعية بالرفق والرأفة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم من وُلي من أمتي شيئا فشق عليهم فأشقق عليه، ومن وُلي من أمتي شيئا فرفق بهم فأرفق به"[3].
- إقامة العدل بينهم وفيهم (إن الله يامر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)[4].

---

[1] سورة المائدة الآية 50.
[2] أخرجه البخاري انظر فتح الباري 127/13 في كتاب الأحكام باب من استرعى رعيته فلم ينصح رقم الحديث 6731.
[3] أخرجه مسلم كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم الحديث 1828.
[4] سورة النحل الآية 90.

- حفظ الدين في قواعده وأحكامه وأصوله المقررة في الكتاب والسنة.
- إقامة شعائر الإسلام.
- دفع ما يناقض الإسلام ويحاصر أحكامه.
- حماية بلاد الإسلام والذوذ عنها وتحصين أراضيها.
- إقامة شروط الحياة الإسلامية وتطبيق الحكم الإسلامي.
- استخلاص الزكاة وتدبير أمر المال العام.
- استخلاف الأمناء الناصحين (يا أبت استاجره إن خير من استاجرت القوي الأمين)[1].
- تفعيل طرق المراقبة والمتابعة الدائمة والاشراف على تحري الوفاء بالمسؤوليات عن طريق الحِسْبة. ومعلوم سعي الراشدين إلى عزل الولاة إذا ظهر لهم مسوغ للعزل من عجزٍ أو إهمال أو تقصير أو عدم تلاؤم الوالي مع منصبه ووظيفته كما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعض خيار الصحابة كخالد بن الوليد وأبي هريرة وغيرهما.

وتجدر الإشارة إلى أن من مقتضيات الإشراف على الولايات أن يتم ذلك عمليا وبشكل مباشر وليس عن طريق التفويض.

لأجل ذلك تعارف العلماء على المعنى الشامل للولاية بمختلف درجات المسؤولية وكلها تقوم على استعمال الأصلح على شؤون المسلمين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من ولي من أمر المسلمين شيئا فولَّى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"[2].

والولاية تعني مختلف الوظائف والمسؤوليات التي تنبني على وجوب تحقق أصحابها بالأمانة والحزم والكفاءة والدين والنصح للأمة.

[1] سورة القصص الآية 26.
[2] رواه الحاكم في مستدركه 104/4، والطبراني في المعجم الكبير 104/11

وقد ذكر الإمام ابن تيمية في كتابه "السياسة الشرعية في أحوال الراعي والرعية" مختلف الولايات وأدوارها بدءاً من السلطان وعُرفاء القبائل ووصولا إلى البوابين على الحصون وأئمة المساجد والمؤذنين. وجميع هؤلاء يضطلعون بأدوار حاسمة في تدبير أحد شؤون المسلمين، وعليهم أن يؤدوا مهماتهم بكل صدق وإخلاص وقوة وأمانة.

ولذلك وجب مراعاة المعايير الرئيسة في تولي المسؤولية وأهمها:

- اختيار الأمثل فالأمثل.
- تحري معرفة الأصلح والأنسب لكل ولاية.
- السعي الحثيث ما أمكن إلى الجمع بين مقتضيات التدين الحصيف والأمانة المطلوبة والقوة المحققة.

وكل وظيفة يجب أن يتوفر صاحبها على المؤهلات والمواصفات الضرورية لإنجاحها وتطوير أدائها. وشتان بين هذا الاختيار الأمثل وبين التوظيف الذي يتم بمراعاة الوساطات والمصالح والقرب من مواقع القرار وأصحاب النفوذ: فالأول يبني و يطور والثاني يقوض ويهدم.

المقاصد الشرعية السياسية.

لعل أهم مقصد من بعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: ربط الناس بالله تعالى واكتساب محبته ورعاية مصالح الخلق ودفع المفاسد عنهم. ولذلك أرسى الإسلام دعائم نظام سياسي ليكون وسيلة إلى حفظ المصالح الأساس التي لا تستقيم الحياة بدونها.

وأهم وسيلة لحفظ هذه المصالح: "نَصْبُ الخلفاء والولاة من الناحية التنفيذية السياسية. في حين تحمَّل العلماء مسؤولية حفظ المصالح من الناحية التشريعية والرقابية. ومنطلق ذلك واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

إن التنزيل العلمي لمختلف المصالح التي لا تستقيم الحياة بدونها يوسع من دائرة هذه المصالح حتى لا تبقى مقتصرة على المصالح الخمسة وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. بل تتعداها لبيان أن الشارع قصد إلى تحقيق مجموعة كبيرة من المقاصد أهمها:

- مراعاة إقامة العدل وتحقيق الأمن لكونها من الواجبات التي تُلزِم ولي الأمر. ونفس الأمر ينطبق على مقصدي الحرية والمساواة والتي اعتبرها مجموعة من العلماء المحدثين - وأهمهم: محمد عبده ورشيد رضا والطاهر بن عاشور وعلال الفاسي- أصلين مستقلين، ومقصدين مهمين من مقاصد الشريعة.

وهذه المقاصد ضرورية لقيام الدولة الإسلامية. كما أنها شرط رئيس لخروجها من التخلف والتبعية للغرب. كما أن التفريط فيها يشكل مِعولاً من معاول هدمها و تقويض أركانها.

لذلك فإن مشروعية الحاكم أيا كان: خليفة أو سلطانا أو رئيسا متوقفة على مدى التزامه بحفظ هذه المقاصد.

ولعل من أهم الأسباب التي مهدت الطريق لاستشراء الظلم وتقييد الحريات: جمع السلطات كلها بيد الحاكم: فهو المسؤول عن أمر الدين والدنيا. لدرجة أن العلماء هُمِّش دورهم وأقْصوا عن دائرة الحكم واتخاذ القرار. لذلك كان من أهم المقترحات الحديثة المساعدة على تجاوز هذا الإشكال: اعتماد مبدأ الفصل بين السلطات.

وفضل هذا الفصل يتجلى في الأمور الآتية:

- جعل كافة السلطات متساوية ومستقلة، لا تستطيع أي واحدة منها أن تستبد بالأمر.
- التعاون بين السلطات والرقابة عليها.
- ضمان حرية الأفراد وحقوقهم بمنع الاستبداد و التعسف في استعمال السلطة.
- توزيع السلطات وتنظيمها. فلكل سلطة مهامها وحدود عملها.

التكييف الفقهي في السياسة الشرعية.

يعد التكيف الفقهي أهم ظاهرة سياسية تسترعي النظر في كل ما يحيط بالتنظير للسياسة الشرعية والممارسة السياسية. إذ قام مجموعة من العلماء بتكييف تعدد الولاة والخلفاء والانزياح عن وحدة الخلافة الإسلامية و تسويغ روح الانقسام عن الوحدة الإسلامية بمبررات طبيعية وجغرافية.

كما تم التكييف الفقهي لشروط الخليفة ومنها: العدالة و العلم والاجتهاد بل وحتى البلوغ، لدرجة أن بعض العلماء أجازوا ولاية الصبي. وقد كتب الوزير لسان الدين ابن الخطيب مؤلفا خاصا بهذا الأمر سماه "إعمال الأعمال فيمن بُويع قبل الاحتلام" كما جوَّز بعض العلماء ولاية الفاسق.

ويمكن القول أن أغلب تجليات التكييف الفقهي للعلماء في كتب السياسة الشرعية وتنظيراتهم المتصلة بموازنتهم بين مصلحة تطبيق الأحكام الشرعية المقرّرة، ومفسدة تحكُّمِ حكامٍ وسلاطين متغلبين بالحَجْر والقهر تجعل أغلب تنظيراتهم تُسهم في تكريس واقع مستبد، وفي تصحيح ممارسة سياسية متحكمة، وفي تسويغ القهر والتغلب، وفي توجيه مؤلفات السياسة الشرعية إلى التنظير لما يدرأ الفتنة، ويحقق الأمن والاستقرار السياسي، ويمنع الاضطراب والفوضى.

لكن هذا الأمر بإيجابياته الواضحة:

- لا يسهم في بناء الدولة، ولا في قيام مؤسساتها بالدور المطلوب.
- ولا في تأمين الأمة من الوقوع في منزلقات المزيد من التشتت والتنازع أو السير في إطار التبعية للأمم الغالبة. ناهيك أن هذا الاختيار لا يحقق

التمكين للدين ولأهله في الأرض كما لا يسمح للأمة بتطوير إمكاناتها وتحقيقها للرقي والنهضة والتنمية المستدامة.

ولعل مباحث التكييف الفقهي السابق تتيح إمكانية استخلاص استنتاجات رئيسية أهمها:

- أن الفكر السياسي الإسلامي طيلة مراحل التاريخ الإسلامي كان يمثل فقها للطوارئ بموجبه بتعامل الفقه السياسي مع كافة المتغيرات السلبية والتوترات السياسية والأوضاع المخالفة للأصول السياسة الشرعية بمنطق التسويغ.

- أن الفقه السياسي الإسلامي كان يوثر الدفاع عن النظام والاستقرار رغم ما فيه من مخالفة شرعية على حِساب تبنّي مواقف ثابتة يمكن أن تؤدي إلى التوتر والنزاع والمواجهة.

- أن الفقه السياسي الإسلامي لم يُبَلْوِر أشكالا تنظيمية مؤسساتية تنظم قواعد العمل السياسي.

- أن أغلب الاجتهادات الفقهية السياسية رجَّحت الاختيارات السياسية المسالمة على الاختيارات المبدئية المؤسِّسة للنظر الفقهي الشرعي المؤطَّر بالضوابط والمبادئ المتفق عليها.

- أن جل الآراء الفقهية السياسية الحديثة والمعاصرة تكرِّس توجُّهين اثنين:

الأول: ويروم التصديق على النظر السياسي الفقهي السابق الذي يشذُ عن الممارسة السياسية الإسلامية السوية بكل المعايير والضوابط الشرعية التي من تجلياتها ما يلي:

- الاعتراف بواقع التجزئة السياسية للبلدان الإسلامية التي كان للغرب اليد الطولى في ترسيمها عن طريق اتفاقية سايس بيكو وكل الاتفاقيات العلنية

والسرية التي نالت كثير من البلدان العربية بموجب نتائجها الخفية استقلالها. كما هو الشأن بالنسبة لاتفاقية إيفيان المتعلقة باستقلال الجزائر، واتفاقية إكس ليبان المحددة لشروط استقلال المغرب.

- تسويغ الممارسات القمعية لكثير من الأنظمة التي تقوم أساسا على القهر السياسي.

- تبرير ومساندة التسلط العسكري لكثير من قادة البلدان الإسلامية.

- قبول المؤسسات الفقهية في الدول الإسلامية ودفاعها عن الأنظمة التي تفتقد إلى الشرعية.

أما التوجه **الثاني** للآراء الفقهية السياسية المعاصرة فيروم – بحجة التأصيل والتقعيد والتنزيل- استجداء المقولات الغربية السياسية، والتأكيد على سلامة اختيارها باعتبارها تنسجم مع الفقه الإسلامي.

وأهم هذه المقولات: الديموقراطية واعتماد أولية مبدأ الأغلبية وسيادة الأمة. ولا نحتاج في التعليق على هذا الاختيار بكونه مسلكا إسقاطيا لواقع غربي بمفرداته وأسبابه ومضامينه على واقع إسلامي مخالف.

ويمكن القول إن أغلب تجليات التكييف الفقهي للعلماء في كتب السياسة الشرعية وتنظيراتها المتصلة بتحقيق الموازنة بين مصلحة تطبيق الأحكام الشرعية المقرَّرة، ومفسدة تحكُّم ولاة وسلاطين متغلبين بالقهر والظلم:

تجعل أغلب هذه التنظيرات تسهم في تكريس واقع مستبد، وفي تصحيح ممارسة سياسية متحكِّمة، وفي تسويغ القهر والتغلب، وفي توجيه مؤلفات السياسة الشرعية إلى التنظير لما يَدْرأ الفتنة فقط دون السعي لتصحيح الاختلالات الموجودة وبناء الدولة وفق منطلقات صحيحة وقواعد رصينة

تُعلي من شأن الأمة وتُقوِّيها، كما تحقق الأمن والاستقرار السياسي، وتمنع الاضطراب والفوضى.

لكن هذا المسار بإيجابياته الواضحة لا يسهم في بناء الدولة، ولا في قيام مؤسساتها بالدور المطلوب، ولا في تأمين الأمة من الوقوع في منزلقات المزيد من التشتت والتنازع. أو السير في إطار التبعية للأمم الغالبة. ناهيك عن أن هذا الاختيار لا يحقق التمكين للدين ولأهله في الأرض، ولا يسمح للأمة بتطوير إمكاناتها وتحقيقها للرقي والنهضة والتنمية.

V. خصائص الفكر الإسلامي وضوابطه

1- خصائص الفكر الإسلامي.

تمثل العقيدة المنطلق الأساس للفكر الإسلامي والإطار المرجعي الذي يسيج اجتهاداته وتأملاته. بينما تحدد الشريعة من خلال الأحكام الفقهيَّة الإطار المبين لمنهجه والضابط لحركته وتأملاته والمقوِّم الرئيس لإنتاجه قبولا أو ردّاً.

ولذلك فإن الفكر الإسلامي يتميز بمجموعة من الخصائص أهمها:

- **الربانية**: باعتباره ينطلق من الدين ويكيف اختياراته واجتهاداته حسب أصوله ومقاصده، كما يتوخى تحقيق التواؤم التام مع ما بينه الله تعالى في القرآن الكريم وأرشد إليه النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة. وأي نظر أو اجتهاد خالف هذه الأصول فإنه يمثل صورة مغلوطة عن الفكر الإسلامي.
- **الموازنة بين طابع الثبات وصفة المرونة**: فالفكر الإسلامي يتميز بالثبات على مستوى الأهداف والغايات، كما يتميز بالمرونة فيما يتصل بالوسائل والأساليب. وبالثبات في الأصول والكليات والمرونة في الفروع والجزئيات. وبالثبات في القيم والمبادئ والمرونة في مختلف الأمور العملية المتصلة بحياة الناس وطرق فهمها وتحليلها وتطبيقها.
- **الشمولية:** الفكر الإسلامي يتميز بطابعه الشمولي الذي يجعله يناقش كل الموضوعات ويفككها ويحللها وينتقدها بأسلوب النظر المتوافق مع الأصول الشرعية فيثبت ما حقه أن يثبت ويطرح ما يجب أن يطرح.

- **التميز والموضوعية**: إذ كل أوجه التناظر والتأليف والرد والتصحيح تتوخى نشدان الحق وتحري الموضوعية بدون تزَيُّدٍ أو اسْتِنْقاص. كما تتحرى النقد الصريح الباني والكشف عن الأخطاء والاختلالات بما يسمح بتفحصها وتجاوزها.

- **بناء اللاحق على السابق**: من أهم خصائص الفكر الإسلامي تحقيق الاستفادة من التجارب السابقة وتعميق الخِبرات المكتسبة سواء على مستوى التآليف السابقة أو فيما يتصل بالمواقف المركزية المتعلقة بمصالح الأمة ومبادئها الرئيسة فكل تأليف أو مناظرة يجب أن تستحضر الكتابات السابقة وتنطلق منها لتثريها وتعمقها وتطور مسارها. وبموجب ذلك يتحقق للأمة استفادة اللاحق من السابق و أخذ العبرة منه.

2- الضوابط الشرعية للفكر الإسلامي

- التحقق بالمقصد العقدي.
- تحديد مجالات المعرفة المشروعة.
- التزام الحق والانطلاق من الحق والأخذ به واستهداف الحقيقة في كل المشاريع العلمية.
- اقتران العلم بالعمل.
- بناء قواعد العلم على أسس الشرع ومقاصده.
- نفع العلم وعدم الافساد به: ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من العلم الذي لا ينفع[1].
- تحقيق الإفادة من العلم.
- النقدية: التأكد من سلامة القضية المعروضة وسدادها قبل اصدار الحكم وترتيب النتائج.
- اجتناب المحاذير التي تنحرف بالفكر عن هدفه مثل: الافتراء والكذب وكتمان الحق وتلبيسه بالباطل والعناد والقول بدون علم.
- التأصيل قبل التنظير: تأصيل الفهم السليم والعمل على استيعاب ما نود التصنيف فيه، مع الرسوخ في آلات النظر. وكل ذلك قبل التصدي للتنظير في مجالات الفكر الإسلامي.
- فقه الأولويات والموازنات.
- سلامة الفهم وحسن التنزيل.

[1] أخرجه الإمام النسائي في سننه 263/8، والإمام أحمد في مسنده 255/3.